قصار المفصل

(سورتي الضحى والكوثر)

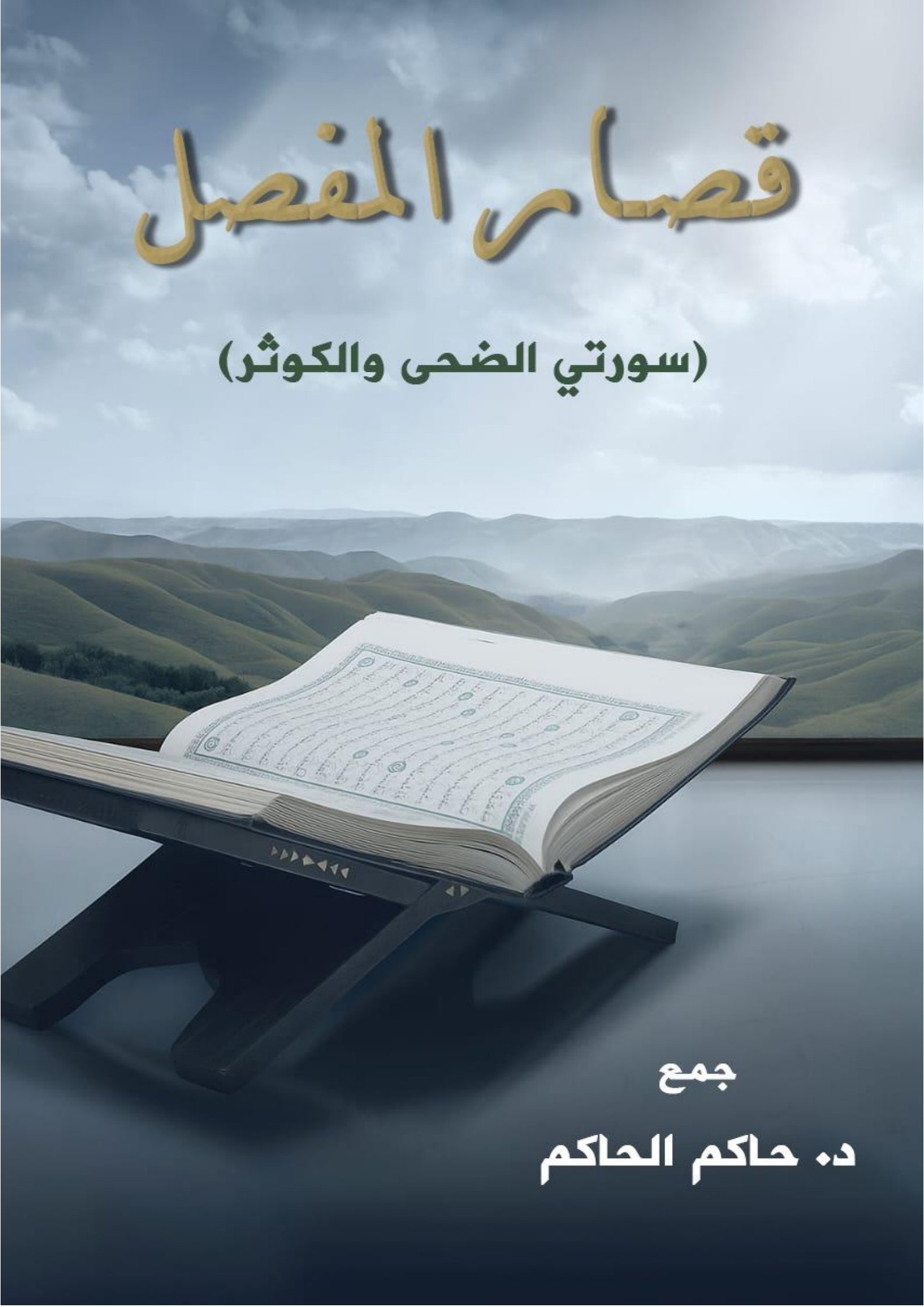

جمع

د. حاكم الحاكم

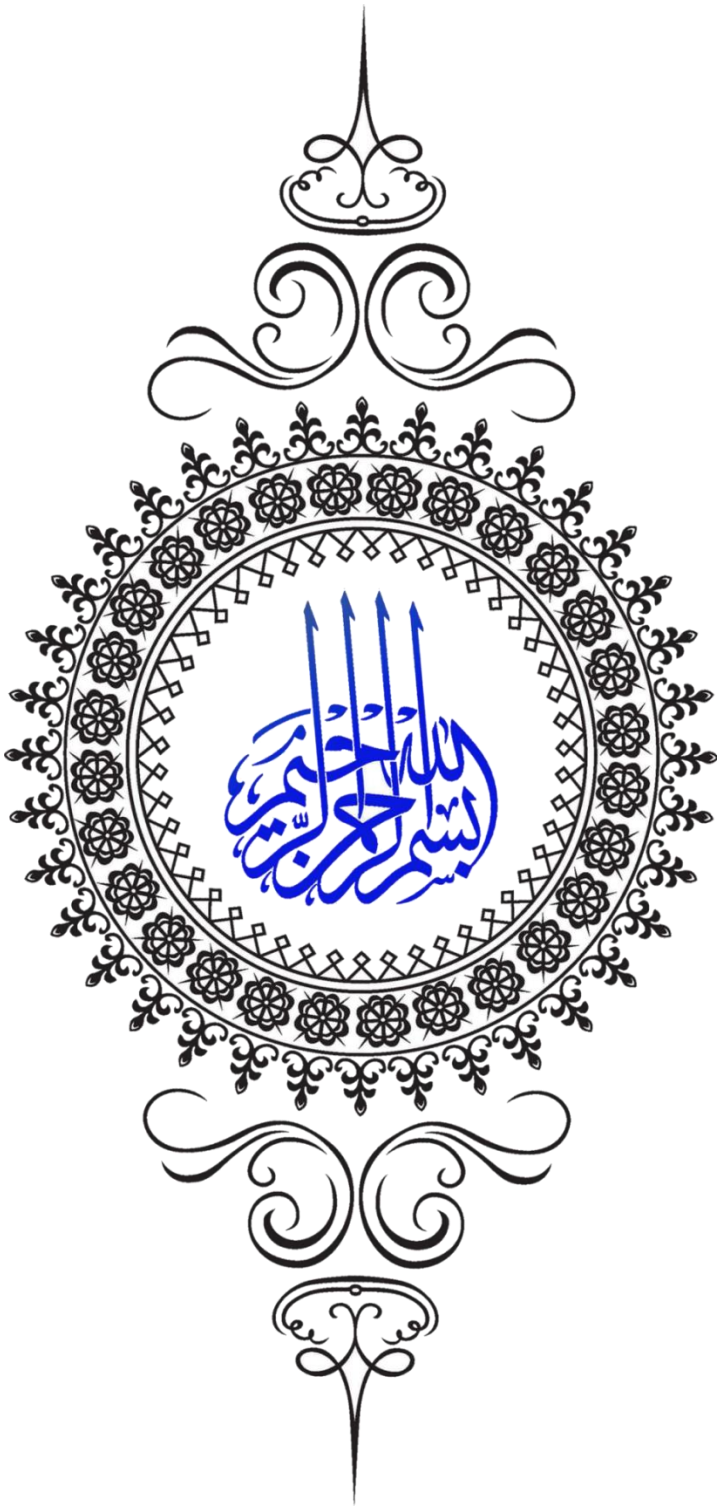
بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي حفظ كتابه من التحريف والتبديل، وأغنى المسلمين بشريعته عن الاحتياج إلى ما في التوراة والإنجيل، والصلاة والسلام على نبينا محمد الهادي إلى سواء السبيل، وعلى آله وأصحابه الكرام الذين كانوا أهل عناية وأمانة، وحفظٍ ودراية. أمَّا بعدُ:

فلقد حظي القرآن الكريم على مر العصور باهتمام كبيرٍ لا يدانيه اهتمام، وعناية فائقة لا تعادلها عناية، فقد دأب علماء الأمة على ذلك، فألفوا فيه المؤلفات سواء في التفسير أو في أو المناسبات أو الهدايات أو في التدبر.

ولا شك أن أعظم العلوم والمعارف هي آيات القرآن العظيم وما يتعلق بها من الفهم والبيان والاستنباط والتدبر.

وسيكون حديثنا في هذه الورقات عن (تفسير قصار المفصل) وقد جعلت الكلام عنه على ثلاث مراحل:

الأولى: التعريف بالسورة وهذا علوم القرآن.

الثانية: تفسير الآيات.

الثالثة: التدبر والاستنباط، وما فيها كذلك من ملح ولطائف ونكات البلاغية، وتربوية.

تفسير
سورة الضحى

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)﴾

[الضحى: ١ – ١١].

أولاً: التعريف بالسورة (علوم القرآن):

مناسبة السورة لما قبلها:

- أقسم سبحانه في سورة « الليل »، بالليل إذا يغشى، وبالنهار إذا تجلى... وبدأ بالقسم بالليل، ثم أعقبه بالقسم بالنهار..

وهنا يقسم الله سبحانه بالنهار أولاً ﴿والضحى﴾ ثم بالليل ثانياً.. « ﴿والليل إذا سجى﴾ وبهذا يتوازن الليل والنهار، فيقدم أحدهما فى موضع ويقدم الآخر فى موضع، ولكل من التقديم والتأخير فى الموضعين

مناسبته..[1].

- أنه ذكر في السابقة﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧)﴾ ولما كان سيد المتقين رسول الله صلى الله عليه وسلم عقب ذلك سبحانه بذكر نعمه عز وجل عليه[2].

- **التسمية:**

تسمى سورة الضحى، لإقسامه عز وجل في مطلعها بقوله تعالى: ﴿وَالضُّحَى (١)﴾، وتسمى في كثير من التفاسير وفي "صحيح البخاري"، "سورة والضحى" بإثبات الواو[3].

- **مكان نزولها:**

نزلت سورة الضحى بمكة بالاتفاق.

---

(١) ينظر: التفسير القرآني للقرآن (١٥ / ١٥٩٨)، المهَذَّبُ في تفسيرِ جزء عَمَّ لعلي بن نايف الشحود (ص٦٨٣).

(٢) ينظر: تفسير المراغي (٣٠ / ١٨٢).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠ / ٣٤٧)، أسماء سور القرآن وفضائلها (ص ٥٥٩).

- **عدد آيها:**

إحدى عشرة آية بالاتفاق.

- **زمان نزولها:**

عُدت هذه السورة الحادية عشرة في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة الفجر وقبل سورة الانشراح، وهي أول سورة في قصار المفصل[1].

- **أغراض السورة:**

✓ إبطال قول المشركين إذ زعموا أن ما يأتي من الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم قد انقطع عنه.

✓ وزاده بشارة بأن الآخرة خير له من الأولى على معنيين في الآخرة والأولى. وأنه سيعطيه ربه ما فيه رضاه. وذلك يغيض المشركين.

(١) ينظر: المهَذَّبُ في تفسيرِ جزء عَمَّ (ص ٦٨٣).

✓ ثم ذكره الله بما حفه به من ألطافه وعنايته في صباه وفي فتوته وفي وقت إكتهاله وأمره بالشكر على تلك النعم بما يناسبها مع نفع لعبيده وثناء على الله بما هو أهله[1].

- **فضل السورة:**

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: " يا معاذ، أفتان أنت – ثلاثا – اقرأ: والشمس وضحاها وسبح اسم ربك الأعلى ونحوها[2]"، وفي رواية ((اقرأ ﴿والشمس وضحاها﴾ ﴿وَالضُّحَى ﴾، ﴿والليل إذا يغشى﴾، و﴿ سبح اسم ربك الأعلى﴾ فقال عمرو نحو هذا))[3].

- **موضوعات السورة:**

✓ تأكيد عناية الله تعالى به صلى الله عليه وسلم. وبشارته بما له في الآخرة، وبما سيعطيه الله عز وجل، وامتنانه عليه بما أعطاه.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور – (٣٠ / ٣٤٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير، باب ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ [الضحى:٣]رقم (٤٩٥٠)(١٧٢/٢)، ومسلم رقم (١٧٩٧)، (١٤٢٢/٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٦١٠٦)(٢٦/٨).

- ✓ التذكير بحق اليتيم والمسكين، والتحدث بنعمة الله تعالى [1].

- **سبب النزول:**

ثبت في صحيح البخاري اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين – أو ثلاثا –»، فجاءت امرأة فقالت: يا محمد، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين – أو ثلاثة – فأنزل الله عز وجل: ﴿وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣)﴾ [الضحى: ١-٣]، قوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى: ٣]: «تقرأ بالتشديد والتخفيف، بمعنى واحد، ما تركك ربك» وقال ابن عباس: «ما تركك وما أبغضك»[2].

- **مقاصد السورة[3]:**

- ✓ رعاية الله لنبيه صلى الله عليه وسلم.
- ✓ الامتنان عليه بنعمة الوحي ودوامها له.
- ✓ وفيها تأنيس، وتقوية له، ورد على المشركين.

---

(١) عون الرحمن في تفسير القرآن لسليمان اللاحم (٣٠٩/٢٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٤٦٥)، (٣٣٩/١).

(٣) مقاصد سور المفصل (ص: ٢٠).

✓ وفيها الامتنان العام على كل مؤمن بما آتاه الله من نعمه، وما يوجبها من تمام الشكر.

❖ ثانياً: التفسير:

➢ تفسير قوله تعالى: ﴿ وَالضُّحَى (١) ﴾.

- **الواو**: للقسم، و﴿ الضحى﴾: مقسم به.

الضحى: هو أول النهار: ويؤيده اللغة، ومنه صلاة الضحى، وهي تكون بعد ارتفاع الشمس قيد رمح إلى قبيل الزوال.

- **وقيل**: النهار كله؛ لمقابلته بالليل في قوله: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢)﴾.

وتفسير النهار كله أعم من تفسير اللفظ في عرف اللغة.

- أقسم الله بالضحى إذا أشرق وأضاء الأرض بنوره كقوله تعالى: ﴿والشمس وضحاها﴾.

➢ تفسير قوله تعالى: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) ﴾.

- أي: أقبل بظلامه وسكن، كقوله تعالى: ﴿والليل إذا يغشى﴾.

يقال ليلة ساجية، أي ساكنه الريح والأصوات.

- أقسم الله تعالى بشيئين متباينين أولهما: الضحى إذا انتشر وملأ الأرض ضياءً ونوراً، والثاني: الليل إذا يغشى وفيه الظلمة.

➢ تفسير قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣)﴾

- هذا جواب القسم.

﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ ﴾ أي: ما تركك ربك وما أهملك.

﴿ وَمَا قَلَى ﴾ أي: وما أبغضك.

- جاءت هذه الآية في معرض الرد على قول المشركين لما أبطأ عنه صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام قالوا ودعه ربه وقلاه، فنفى الله عز وجل أن يكون ترك نبيه صلى الله عليه وسلم وأبغضه.
- ﴿ وَمَا قَلَى ﴾ حذف المفعول فلم يرد بلفظ (وما قلاك) لئلا يواجه –عليه الصلاة والسلام– بنسبة القلى والبغض إليه وإن كان في كلام منفي وذلك لطفًا به صلى الله عليه وسلم وشفقة عليه[1].

(١) التفسير الوسيط لمجموعة من علماء الأزهر(ص : ٢٣٥).

➢ تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (٤) ﴾

يقسم ربنا لنبيه صلى الله عليه وسلم أن الدار الآخرة بما أعده الله له فيها خير له من الدنيا وما فيها.

اللام: موطئة للقسم، أي والله للآخرة خير لك.

والآخرة: هي اليوم الذي يبعث فيه الناس، ويأوون إلى مثواهم الأخير إلى الجنة أو إلى النار.

وسميت الآخرة بهذا الاسم: لأنها متأخرة في الزمن بعد الدنيا، وهي الدار الحقيقة.

➢ تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥) ﴾

﴿وَلَسَوْفَ﴾ اللام هذه أيضًا للتوكيد، وهي موطئة للقسم.

و (سَوْفَ) تدل على تحقق الشيء في المستقبل.

- ﴿يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ أي: يعطيك ما يرضيك فترضى:

اعطاه الله من الخير العاجل: التمكين لدينه، والتأييد له ونصره على أعدائه، وظهور الحق، زهوق الباطل، ودخول الناس في دين الله أفواجاً،

وغير ذلك.

واعطاه الله من الخير الآجل: الشفاعة الكبرى، والمقام المحمود، والحوض المورود، وجنات الخلود، وشهادته وأمته على الأمم وغير ذلك[1].

- ﴿يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ تعريف ربك بالإضافة دون اسم الله العلم لما يؤذن به لفظ (رب) من الرأفة واللطف، وللتوسل إلى إضافته إلى ضمير المخاطب لما في ذلك من الإشعار بعنايته برسوله وتشريفه بإضافة رب إلى ضميره[2].
- ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ جيء بفاء التعقيب في: ﴿ فَتَرْضَى ﴾ لإفادة كون العطاء عاجل النفع بحيث يحصل به رضى المعطى عند العطاء فلا يترقب أن يحصل نفعه بعد تربص[3].
- **لم يقل (لترضى):** بل قال ﴿فَتَرْضَى﴾ لأنه صلى الله عليه وسلم راض عن الله في كل أحواله.

---

(١) ينظر: عون الرحمن لسليمان اللاحم (٣١٣/٢٤).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٣٣٨/٣٠).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٣٣٨/٣٠).

تفسير قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) ﴾

- الاستفهام هنا للتقرير، يعني قد وجدك الله تعالى يتيمًا (كان صلى الله عليه وسلم يتيم الأب والأم، فقد توفي أبوه قبل أن يولد).

﴿ فَآوَى ﴾ أي: ضمك إلى من يكفلك ويرعاك، وقد كان ذلك برعاية جده وعمه له.

- جاء التعبير ـ والله أعلم ـ بـ﴿ فَآوَى ﴾ لسبب لفظي، وسبب معنوي.

أما السبب اللفظي: فلأجل أن تتوافق رؤوس الآيات من أول السورة.

وأما السبب المعنوي: فإنه لو كان التعبير (فآواك) اختص الإيواء به صلى الله عليه وعلى آله وسلم والأمر أوسع من ذلك، فإن الله تعالى آواه، وآوى به، آوى به المؤمنين فنصرهم وأيدهم، ودفع عنهم بل دافع عنهم سبحانه وتعالى[1].

(١) تفسير جزء عم لابن عثيمين (ص : ٢٣٥).

➢ تفسير قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) ﴾

- ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾ أي: غير عالم، لم تكن تدري القرآن ولا الشرائع.

﴿ فَهَدَى ﴾ فهداك لذلك.

- قال: ﴿ فَهَدَى ﴾ ولم يأت التعبير ـ والله أعلم ـ (فهداك)، ليكون هذا أشمل وأوسع فهو قد هدى عليه الصلاة والسلام، وهدى الله به، فهو هاد مهدي عليه الصلاة والسلام، إذاً فهدى أي فهداك وهدى بك[1].

وجدك ضالا عن معرفة الدين، فهداك إليه؛ كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾ [الشورى: ٥٢][2].

➢ تفسير قوله تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٨) ﴾

﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا﴾ أي: وجدك فقيرًا ذا عيال لا تملك شيئًا.

﴿فَأَغْنَى﴾ أي: أغناك الله، بما أعطاك من مال خديجة رضي الله عنها،

---

(١) تفسير جزء عم لابن عثيمين (ص: ٢٣٥).

(٢) تفسير جزء عم لمساعد الطيار (ص: ١٧٠).

وبما أفاء عليك من الغنائم.

أن الله جمع لنبيه بين الفقير الصابر والغني الشاكر مع ما كان عليه من ضيق الحال، وقلة ذات اليد.

لما ذكر الله عز وجل ما امتن به على نبيه صلة الله عليه وسلم من النعم الدينية والدنيوية أتبع ذلك بالأمر بأداء حقوق هذه النعم بالآيات التي تليها.

- **تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) ﴾.**

﴿ **الْيَتِيمَ** ﴾: الذي مات أبوه قبل أن يبلغ.

﴿ **فَلَا تَقْهَرْ**﴾: أي لا تذله وتهنه وتعتد عليه وعلى ماله وحقوقه.

﴿ **فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ**﴾ هذا في مقابلة ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴾، فإذا كان الله آواك في يتمك فلا تقهر اليتيم، إلا أن يكون قهراً في مصلحة له، فهذا ليس قهراً في الحقيقة وإن كان قهراً ظاهرياً ولكن المصلحة عظيمة لهذا اليتيم فلا تقهر اليتيم، بل أكرم اليتيم[1].

---

(١) تفسير جزء عم لابن عثيمين (ص : ٢٣٥).

➢ تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) ﴾.

﴿ السَّائِلَ﴾: المسترشد الطالب للعلم والهدى.

وقيل السائل: الفقير يسألك مالاً ونفقة.

ولا يمنع أن تشمل الآية السائل عن دينه، أو السائل للنفقة من الفقراء.

﴿ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ لا تزجره وترده، بل عامله باللطف واللين.

- ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ هذا في مقابل: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾ وأول ما يدخل في السائل، السائل عن الشريعة عن العلم لا تنهره، إن نهرته نفرته [١].

➢ تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١) ﴾

﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ نعمة الله تعالى على الرسول – صلى الله عليه وسلم – التي ذكرت في هذه الآيات ثلاث نعم: وأمره الله سبحانه بالتحدث بنعم الله عليه وإظهارها بينهم، والتحدث بنعمة الله شكر[٢].

---

(١) تفسير جزء عم لابن عثيمين (ص : ٢٣٥).

(٢) تفسير جزء عم لابن عثيمين (ص : ٢٣٥).

ثالثاً: التدبر والاستنباط.

- ﴿ وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) ﴾، إقسام الله عز وجل بالضحى، والليل إذا سجا، لما فيهما من دلائل قدرته وعظمته، وتنبيهاً على أهمية الوقت.
- أن الله له أن يقسم بما شاء، وليس للعباد أن يقسموا إلا بالله تعالى وصفاته.
- ﴿ وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) ﴾.

✓ أقسم الله بآيتين عظيمتين من آياته دالة على ربوبيته، وحكمته ورحمته، وهما الليل والنهار.

✓ مطابقة هذا القسم وهو نور الضحى الذي يوافي بعد الظلام للمقسم عليه، وهو نور الوحي الذي وافاه بعد احتباسه عنه.

✓ وكذلك فإن فالق ظلمة الليل عن ضوء النهار، هو الذي فلق ظلمة الجهل والشرك بنور الوحي والنبوة.

✓ وكذلك فإنه سبحانه اقتضت رحمته أن لا يترك عباده في ظلمة الليل سرمدًا، بل هداهم بضوء النهار إلى مصالحهم ومعايشهم لا يليق به أن يتركهم في ظلمة الجهل والغي، بل يهديهم بنور الوحي والنبوة إلى مصالح دنياهم وآخرتهم[1].

- ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾: عناية الله عز وجل بنبيه صلى الله عليه وسلم وتثبيته له وطمأنته في الإقسام له على أنه ما ودعه وهو رد لما زعمه المشركون.
- ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ مفهوم هذا أنه عز وجل معنٍ به، محب له، كما تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨].
- ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ ﴾: إثبات ربوبية الله الخاصة لنبيه صلى الله عليه وسلم وتشريفه بإضافة اسم الرب إلى ضميره صلى الله عليه وسلم.
- ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾: واقعة انقطاع الوحي تدل على أن القرآن من عند الله إذ لو كان من عنده لما توقف.

---

(١)تفسير القرآن العظيم «جزء عم» لعبد الملك العاصمي (ص: ١٢٢).

- ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾: محمد صلى الله عليه وسلم فيما نعلم أحب الخلق إليه، واتخذه خليلاً، واختاره لأعظم الرسالات، وأفضل الأمم، وجعله خاتم النبيين، فلا نبي بعده صلى الله عليه وآله وسلم، فعين الله تعالى تكلأه وترعاه وتحميه وتحفظه، فما تركه الله عز وجل بل أحاطه بعلمه، ورحمته، وعنايته وغير ذلك مما يقتضي رفعته في الدنيا والآخرة. كما قال في السورة التي تليها: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح: ٤] [(١)].
- ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ هذه الجملة مؤكدة باللام، لام الابتداء.
- ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ أن النبي صلى الله عليه وسلّم لم يكن يعلم شيئاً قبل أن ينزل عليه الوحي، كما قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ﴾ [النساء: ١١٣]، وقال: ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨]، فهو نبي أمي[(٢)].

---

(١) تفسير جزء عم لابن عثيمين (ص: ٢٣٤).

(٢) تفسير جزء عم لابن عثيمين (ص: ٢٣٥).

- ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴾ في الآية امتنان الله على نبيه صلى الله عليه وسلم بإيوائه له بعد اليتم، وهدايته له بعد الضلال، وإغنائه له بعد العيلة تذكيراً له بذلك، وتدليلاً على أنه سيعطيه من الخير العاجل والآجل حتى يرضى.

وهي كذلك امتنان على أمته، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ((ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي..)) [1].

- ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى... ﴾ سر ذكر النعم بصيغة الماضي: لإيقاع اليقين في قلوب المشركين بأن ما وعده الله به محقق الوقوع قياسا على ما ذكره به من ملازمة لطفه به فيما مضى وهم لا يجهلون ذلك عسى أن يقلعوا عن العناد ويسرعوا إلى الإيمان.

وكذلك امتنان على النبيء صلى الله عليه وسلم وتقوية لاطمئنان نفسه بوعد الله تعالى إياه[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/٣٩٩).

- ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى... ﴾ **دلاله ترتيب النعم الثلاثة:**

✓ لأن يتمه كان أولاً يوم خرج من بطن أمه وكان على الفطرة، بهداية الله له.

✓ فلما نشأ ورأى ما عليه القوم، هداه الله إلى الحنيفية فلم يقارف ما كان عليه أهل الشرك من المنكرات.

✓ ثم كان شيء من غناه، ثم كمل له الهداية بأن أرشده بالوحي إلى الشرائع التي كان لا يعلمها.

- ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴾ فيها تعليم الأدب مع الله في عدم نسبة ما هو مكروه إليه، وإن كان سبحانه هو الذي قضى وقدر[1].

﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾ دلاله ذكر نعمة الهداية بعد الضلال، لأن الهداية من حيرة لاعتقاد هي المنة الكبرى.

(١) مجالس تدارس القرآن الفاتحة قصار المفصل (ص ٤٣).

- ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ المغني هو الله وقد أغنى نبيه بأن سخر له من يكفيه كخديجة رضي الله عنها, وأغناه بالقرآن فبلغ به أعظم درجة الغنى الحقيقي.

- قرر سبحانه بنعم ثلاث وأتبعهن بوصايا ثلاث، كل واحدة من الوصايا شكر النعمة التي قوبلت بها فإحداهن ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ هذا في مقابلة: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾ فلا تتسلط على اليتيم بالظلم لضعفه بل ادفع إليه حقه واذكر يتمك. ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ هذا في مقابل ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ لا تنهر السائل إذا سألك فقد كنت فقيرًا, فإما أن تطعمه وإما أن ترده ردًا لينًا ويدخل في هذا السائل للعلم والسائل للمال، ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ فقابلها بقوله: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾[1].

- ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) ﴾ النهي في الآيتين له صلى الله عليه وسلم ولأمته

(١)تفسير القرآن العظيم «جزء عم» لعبد الملك العاصمي (ص: ١٢٣).

- ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) ﴾ تعظيم الإسلام لحق اليتيم والفقير؛ نظراً لشدة حاجتهما إلى العناية والرعاية، ولا عجب فهو دين التكافل الاجتماعي.
- ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) ﴾ تحريم قهر اليتيم وتحقيره وسوء التعامل معه.
- ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ﴾ خص اليتيم لصغره وضعفه فهو عرضه لكل طامع، ممن لا يخافون اللّه ،ولهذا عظم اللّه حقه في كتابه، وعظمه رسوله المصطفى الكريم في سنته.
- الحكمة في كونه صلى اللّه عليه وسلم يتيماً:
  - ✓ ليعرف قدر اليتامى فيقوم بحقهم.
  - ✓ وليكون مشاركاً لهم في الاسم فيكرم.
  - ✓ وليعلم كل أحد أن فضيله رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم من اللّه ابتداءً، لأن الذي له أب فإن أباه يسعى في تعليمه وتأديبه.
- ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ سر تقديم اليتيم (المفعول به) على الفعل: ﴿ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ للاهتمام بشأنه.

- ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ للسائل حق في سؤاله ؛ سؤال علم أو سؤال مال، فلا يجوز نهره والتغليظ عليه.
- ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ يدخل فيه السائل للمال، والسائل للعلم؛ ولهذا كان المعلم مأمور بحسن الخلق مع المتعلم، ومباشرته بالإكرام والتحنن عليه[1].
- ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ **هذه الآية فيها عموم يدخله التخصيص**:

✓ فسائل العلم الذي يسأل ليضرب آراء العلماء بعضها ببعض، فهذا لا بأس أن تنهره، لأن هذا النهر تأديب له.

✓ وكذلك سائل المال إذا علمت أن الذي سألك المال غني فلك الحق أن تنهره ولك الحق أيضاً أن توبخه على سؤاله وهو غني، فهذا العموم مخصوص فيما إذا اقتضت المصلحة أن يُنهر فلا بأس[2].

---

(١) تفسير السعدي (ص : ٩٢٨).

(٢) تفسير جزء عم لابن عثيمين (ص : ٢٣٥).

- ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ أمر الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم بالتحدث بنعمة الله عليه بالنبوة والقرآن وغيرها، وقد حدث عليه الصلاة والسلام وبلغ البلاغ المبين.
- ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ الفرق بين التحدث بنعم الله والفخر بها: أن المتحدث بالنعمة مخبر عن صفات وليها ومحض جوده، وإحسانه فهو مثن عليه بإظهارها والتحدث بها شاكر له، ناشر لجميع ما أولاه، وأما الفخر بالنعم فهو أن يستطيل بها على الناس، ويريهم أنه أعز منهم وأكبر فيركب أعناقهم ويستعبد قلوبهم ويستميلها إليه بالتعظيم والخدمة، وكذلك كسر قلوبهم والتفاخر بأنه هو المستحق لها دونهم[1].
- ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ النعم كلها من الله وواجبها الشكر، ومن شكر نعمة القرآن نشره وتبليغه.
- ﴿.....وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾، والحكمة في تأخير الله حق نفسه عن حق اليتيم والسائل: لأنه غني وهم محتاجان وتقديم حق المحتاج أولى.

---

(١)تفسير القرآن العظيم «جزء عم» لعبد الملك العاصمي (ص: ١٢٣).

- دلالة التعبير بقوله: ﴿ فَحَدِّثْ ﴾ دون (أخبر) ليكون ذلك حديثا عند من لا ينساه ويعيده مرة بعد أخرى.
- ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ استحب بعض السلف التحدث بما عمله من الخير إذ لم يرد به الرياء والافتخار وعلم الاقتداء به بل بعض أهل البيت رضي الله تعالى [1].

(١) روح المعاني للألوسي (٣٨٣/١٥).

تفسير
سورة الكوثر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣)﴾ [الكوثر: ١ -٣]

أولاً: المعلومات التي تأتي قبل التفسير:

- **مناسبة السورة لما قبلها:** " ولما ذكر في سورة الماعون- وصف المنافق بالبخل وترك الصلاة والرياء ومنع الزكاة، قابل في هذه السورة البخل بـ ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ [الكوثر: ١]، والسهو في الصلاة بقوله: ﴿ فَصَلِّ ﴾، والرياء بقوله: ﴿ فَصَلِّ ﴾، ومنع الزكاة بقوله: ﴿ وَانْحَرْ﴾؛ أراد: تصدق بلحم الأضاحي، فقابل أربعا بأربع" [1]

وهذا الذي ذكره أبو حيان (ت: ٧٤٥هـ) من ملح التفسير، وغالب علم المناسبات من باب الملح واللطائف؛ لأن معرفتها لا تؤثر بالتفسير، وفقدها لا ينقص من معرفته.

---

(١) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان (١٠/٥٥٥).

- **التسمية:** تسمى سورة الكوثر، وعنونها البخاري في صحيحه سورة " إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ" وتسمى سورة النحر[1].
- **مكيتها أو مدنيتها:** مكية عند الجمهور واقتصر عليه أكثر المفسرين، وقيل أنها مدنية وهو الأظهر [التحرير والتنوير (٥٧١/٣٠)]
- **عدد آيها:** ثلاث بالاتفاق، وهي أقصر سور القرآن عدد كلمات وعدد حروف[2].
- **أغراض السورة:** اشتملت على بشارة النبي ﷺ بأنه أُعطي الخير الكثير في الدنيا والآخرة، وأمره بأن يشكر الله على ذلك بالإقبال على العبادة.[3]

فضل السورة: عن أنس رضي الله عنه، قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسما، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله قال: «أنزلت علي آنفا سورة» فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير (٥٧١/٣٠).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٥٧١/٣٠).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٥٧١/٣٠).

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣)﴾

[الكوثر: ٢] ثم قال: «أتدرون ما الكوثر؟» فقلنا الله ورسوله أعلم، قال: "فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم، فأقول: رب، إنه من أمتي فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك "[1].

- **مقاصد السورة:** الامتنان على النبي ﷺ بالعطاء والخير الكثير الذي خُص به. وتسلية له وتأييداً، وتوجيهاً للشكر، ورداً وتوعداً للمفترين عليه[2].

وهذا كله خارج عن حد التفسير؛ لأنه لا أثر له في بيان المعاني، وإن كان من العلوم المتعلقة بالآية مباشرة.

- **أحكام القرآن:** أشار القرطبي (ت: ٦٧١هـ): إلى عدة مسائل فقهية، وفصل في بعضها، وهذه المسائل تتعلق بأحكام الأضحية، ـ ووضع اليمين

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١/٣٠٠)، رقم (٤٠٠).

(٢)مقاصد سور المفصل (ص ٢٦).

على الشمال في الصلاة، والموضع الذي توضع عليه اليد في الصلاة، وأحوال رفع اليدين[1]، وكل هذا محله كتب الفقه، لا كتب التفسير.

ثانياً: التفسير:

يخبر ربنا تبارك وتعالى نبيه ﷺ عن هبته له ذلك النهر العظيم في الجنة، الذي اسمه الكوثر، وهو جزء من الخير الكثير الذي أعطاه إياه.

ثم أمره الله بأن يؤدي شكر هذه النعمة بأن تكون الصلاة والذبح له سبحانه لا كما يفعل المشركون الذين يذبحون للأصنام.

ثم أخبره أن مبغضه هو المنقطع عن كل خير، بخلافك أنت فيما أعطاك الله من الخير[2].

ثالثاً: التدبر في سورة الكوثر:

تدبر قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ [الكوثر: ١].

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي (٢٢٠/٢٠).

(٢) ينظر: تفسير جزء عم لمساعد الطيار(ص: ٢٤٧-٢٤٨)،مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر(ص: ٧٧-٧٨).

- **سر افتتاح الكلام بحرف التأكيد (إنَّ)**: للاهتمام بالخبر، والإشعار بأنه شيء عظيم، يستتبع الإشعار بتنويه شأن النبي ﷺ[1].
- **دلالة مجيء ضمير العظمة في قوله**: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾: فيه تنبيه على عظمة العطية ؛ لأن الواهب هو جبار السموات والأرض[2].
- **سر التعبير العطاء بالماضي في قوله**: ﴿أَعْطَيْنَاكَ﴾: إشارة إلى تحقق الوقوع[3].
- **سر التعبير بالإعطاء دون الإيتاء**: إشارة إلى أن ذلك إيتاء على جهة التمليك فإن الإعطاء دونه كثيرا ما يستعمل في ذلك ومنه قوله تعالى لسليمان عليه السلام: ﴿هذا عَطاؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ﴾ [ص: ٣٩] بعد قوله: ﴿هَبْ لِي مُلْكاً﴾ [ص: ٣٥][4].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٥٧٢/٣٠).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٣١٠/٣٢).

(٣) ينظر: روح المعاني للألوسي (٤٨٠/١٥).

(٤) ينظر: روح المعاني للألوسي (٤٨٠/١٥).

- **قوله تعالى:** ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾، دل على أنه أعطاه الخير كله كاملاً موفراً وإن نال منه بعض أمته شيئا كان ذلك الذي ناله ببركة اتباعه[1].

- وفيه إشارة إلى أن المعطى وإن كان كثيرا في نفسه قليل بالنسبة إلى شأنه عليه الصلاة والسلام بناء على أن الإيتاء لا يستعمل إلّا في الشيء العظيم كقوله تعالى: ﴿ وَآتاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ﴾ [البقرة: ٢٥١] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنا داوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ [سبأ: ١٠]، ﴿وآتَيْناكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [الحجر: ٨٧] والإعطاء يستعمل في القليل والكثير كما قال تعالى: ﴿أَعْطى قَلِيلًا وَأَكْدى﴾ [النجم: ٣٤] ففيه من تعظيمه عليه الصلاة والسلام ما فيه[2].

- الكلام مسوق مساق البشارة، وضمير العظمة مشعر بالامتنان بعطاء عظيم[3].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٦/٥٣٠).

(٢) ينظر: روح المعاني للألوسي (١٥/٤٨٠).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/٥٧٢).

- **سبب ورود الضمير المتصل بالكاف بدل اسمه أو صفته ﷺ:** تبييناً لقربه ودرجته ﷺ العظمى ومقامه الكبير عند ربه، وكذلك ليستشعر كل قارئ أنه معطى كذلك أو أن العطاء يشمله.[1].
- **سر إطلاق الكوثر دون قيد:** إشارة إلى أنه خير مطلق، يشمل الخير الكثير والنعم الدنيوية والأخروية من الفضائل والفواضل.
- **في قوله تعالى:** ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ إشارة إلى ضمه هذه العطية، إذ نسبها الله تعالى إلى نفسه والمآدب على قدر الأدب.
- فضل الله تعالى نبيه محمد ﷺ وخصه بأمور دون سائر الأنبياء ومن ذلك نهر الكوثر في الجنة.
- علينا اتباع سنة النبي ﷺ لنظفر بالورود على حوضه الذي يُمد من الكوثر.

(١) ينظر: مجالس تدارس القرآن الفاتحة وقصار المفصل (ص٢٤٠).

تدبر قوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ [الكوثر: ٢].

- **في مجيء قوله تعالى:** ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ **بعد قوله تعالى** :﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾، تعليم للإنسان أن يتوجه لربه بالشكر على النعم والعطايا.

- **توجيه الأمر هنا بالصلاة بالأمر المباشر** :﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾، خلافاً لمعظم الآيات التي تأمر بالصلاة بلفظ :﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ أو ﴿ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: لبناء هذه السورة على الإيجاز والاختصار فهي أقصر السور، ولأن المخاطب بهذا الأمر بلغ درجة عالية ومقاما متقدماً فصلاته مقامة على الوجه المطلوب [١].

- **سر العدول عن الضمير إلى الاسم الظاهر في قوله ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾:**

✓ لأن وروده على طريق الالتفات من أمهات أبواب الفصاحة[٢].

---

(١) ينظر: مجالس تدارس القرآن الفاتحة وقصار المفصل (ص٢٤٠).

(٢) مفاتيح الغيب (٣٢/ ١٢٣).

✓ لأن صرف الكلام من المضمر إلى المظهر يوجب نوع عظمة ومهابة ومنه قول الخلفاء لمن يخاطبونهم يأمرك أمير المؤمنين وينهاك أمير المؤمنين[1].

✓ ولما في لفظ الرب من الإيماء إلى استحقاقه العبدة لأجل ربوبيته فضلاً عن فرط إنعامه[2].

- **سر إضافة الرب إلى ضمير المخاطب ﴿ لِرَبِّكَ ﴾:**

✓ لقصد تشريف النبي ﷺ وتقريبه.

✓ ولأن لفظ الرب يفيد التربية ويفيد الوعد الجميل في المستقبل أنه يربيه ولا يتركه[3].

- دلالة استخدام اللام في قوله: ﴿ لِرَبِّكَ ﴾: تعريض بالمشركين بأنهم يصلون للأصنام بالسجود لها والطواف حولها[4].

---

(١) مفاتيح الغيب (٣٢/ ١٢٣).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/٥٧٤).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/٥٧٤).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/٥٧٤).

- قوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ يدل على أهمية هاتين العبادتين: الصلاة والذبح وأنهما من أبرز ما يُشكر الله به على النعم.

- **سر تخصيص الصلاة والنحر بالذكر:**

  ✓ لأنهما من أفضل العبادات وأجل القربات[1].

  ✓ لأن الصلاة تتضمن الخضوع في القلب والجوارح لله، وتنقلها في أنواع العبودية، وفي النحر تقرب إلى الله بأفضل ما عند العبد من النحائر، وإخراج للمال الذي جبلت النفوس على محبته والشح به[2].

  ✓ لأن المشركين كانوا يصلون بالدعاء والتعظيم، ويتقربون بالقرابين للأوثان، فناسب ذلك البدء بتغيير هذه العادة الشركية بأن تكون صلاتنا وأنساكنا لله ربنا[3].

- **في ذكر الصلاة والنحر بعد الإشارة للعطاء الكثير**: توجهك إلى شكر النعمة بحقها وهو الإخلاص والتجرد لله في العبادة وفي الاتجاه[4].

---

(١) تفسير السعدي (ص ٩٣٥).

(٢) تفسير السعدي (ص ٩٣٥).

(٣) معارج التفكر (٦٥٨/١) بتصرف، وينظر: مجالس تدارس القرآن الفاتحة وقصار المفصل (ص٢٤٣).

- **سر ذكر النحر بعد الصلاة:**

✓ لأن الصلاة أعظم العبادات البدنية فقرن بها أعظم أنواع الضحايا[١].

✓ لأن الأبل أعز الأموال عند العرب فأمره بنحرها، وصرفها إلى طاعة الله تعالى تنبيهاً على قطع العلائق النفسانية عن لذات الدنيا وطيباتها[٢].

✓ إشارة إلى أنك بعد فقرك تصير بحيث تنحر المائة من الإبل [٣].

✓ السورة مكية في أصح الأقوال وكان الأمر بالنحر جارياً مجرى البشارة بحصول الدولة وزوال الفقر والخوف[٤].

- **سر ذكر النحر بدل الذبح:**

✓ لأن النحر يختص بالإبل، والذبح للبقر والغنم.

✓ لأن الإبل أنفع من غيرها بالنسبة للمساكين[٥].

---

(٤) في ظلال القرآن (٣٩٨٨/٦).

(١)مفاتيح الغيب (٣٢/ ١٢٣).

(٢) مجالس تدارس القرآن الفاتحة وقصار المفصل (ص٢٤٣).

(٣)مفاتيح الغيب (٣٢/ ١٢٣).

(٤)مفاتيح الغيب (٣٢/ ١٢٣).

(٥) تفسير جزء عم لابن عثيمين (ص ٣٣٤).

- لما ذكر الله منته على نبيه بالعطاء أمره بشكرها فقال: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾، وهو دليل على أن من أعظم صور الشكر العمل عمل القلب وعمل الجوارح، ﴿ اِعْمَلُوا آلَ داوُدَ شُكْراً﴾ [سبأ: ١٣].
- في هذه السورة الأمر بالإخلاص لله عز وجل في الصلوات والنحر، وكذلك في سائر العبادات[١].

تدبر قوله تعالى: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر: ٣].

- ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ أي: مبغض النبي ﷺ أمره إلى زوال وعاقبته خسران ووبال.
- **من فوائد الالتفات** – أي من ضمير الغيبة إلى ضمير الخطاب– في قوله: ﴿فصل لربك وانحر﴾ الدالة على أن ربك مستحق لذلك وأنت جدير بأن تعبده وتنحر له [٢].

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/٥٧٤).

(٢) مجموع الفتاوى (١٦/٥٣٣).

- أن الدعوة إلى الله لا يمكن أن تكون بتراء، ولا صاحبها أبتر، وكيف وهي موصولة بالله الحي الباقي؟ إنما يبتر الكفر والباطل وأهله مهما بدا أنه طويل الاجل ممتد الجذور.[1].
- أن من أبغض الرسول عليه الصلاة والسلام، أو أبغض شيئاً من شريعته فإنه هو الأقطع الذي لا خير فيه ولا بركة فيه[2].
- من أبغض شريعة الرسول عليه الصلاة والسلام، أو أبغض شعيرة من شعائر الإسلام، أو أبغض أي طاعة مما يتعبد به الناس في دين الإسلام فإنه كافر، خارج عن الدين لقول الله تعالى: ﴿ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم﴾ [محمد: ٩][3].
- بيان شؤم عاقبة كل من عادى الرسول ﷺ.
- بيان مكانة النبي ﷺ وعظيم شأنه عند ربه ؛ إذ تولى الله تعالى بنفسه الدفاع عنه وأكرمه غاية الإكرام.

---

(١) في ظلال القرآن (٦/٣٩٨٩).

(٢) تفسير جزء عم لابن عثيمين (ص ٣٣٤).

(٣) تفسير جزء عم لابن عثيمين (ص ٣٣٤).

- مقياس الذكر بعد الممات ليس بكثرة الأولاد وإنما بما للإنسان من أعمال صالحة، وآثار طيبه يرفعه الله تعالى بها[1].

- **قال ابن تيمية:** حقيقة معناها تعلم من آخرها فإنه سبحانه وتعالى بتر شانئ رسوله من كل خير:

  ✓ فيبتر ذكره وأهله وماله فيخسر ذلك في الآخرة.

  ✓ ويبتر حياته فلا ينتفع بها ولا يتزود فيها صالحا لمعاده.

  ✓ ويبتر قلبه فلا يعي الخير ولا يؤهله لمعرفته ومحبته والإيمان برسله.

  ✓ ويبتر أعماله فلا يستعمله في طاعة ويبتره من الأنصار فلا يجد له ناصرا ولا عونا.

  ✓ ويبتره من جميع القرب والأعمال الصالحة فلا يذوق لها طعما ولا يجد لها حلاوة وإن باشرها بظاهره فقلبه شارد عنها.

وهذا جزاء من شنأ بعض ما جاء به الرسول ﷺ ورده لأجل هواه، أو

(١) مجالس تدارس القرآن الفاتحة وقصار المفصل (ص٢٤٣-٢٤٤).

متبوعه، أو شيخه، أو أميره، أو كبيره[1].

- ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ الحذر الحذر أيها الرجل من أن تكره شيئا مما جاء به الرسول ﷺ أو ترده لأجل هواك أو انتصارا لمذهبك أو لشيخك أو لأجل اشتغالك بالشهوات أو بالدنيا فإن الله لم يوجب على أحد طاعة أحد إلا طاعة رسوله [2].
- ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ من آثر كلام الناس وعلومهم على القرآن والسنة فلولا أنه شانئ لما جاء به الرسول ما فعل ذلك حتى إن بعضهم لينسى القرآن بعد أن حفظه ويشتغل بقول فلان وفلان[3].
- ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ وصفه بكونه شانئاً كأنه تعالى يقول هذا الذي يبغضك لا يقدر على شيء آخر سوى أنه يبغضك والمبغض إذا عجز عن

---

(١) مجموع الفتاوى (٥٢٦/١٦)

(٢) مجموع الفتاوى (٥٢٩/١٦).

(٣) مجموع الفتاوى (٥٢٧/١٦).

الإيذاء فحينئذ يحترق قلبه غيظاً وحسداً فتصير تلك العداوة من أعظم أسباب حصول المحنة لذلك العدو[1].

- **التسلسل العجيب لهذه السورة**: إذا أعطاك الله خيراً عظيماً وأعظمه هذا الدين وسخرك لدعوة الناس إليه وتعليمهم إياه، فتفرغ لعبادة ربك العبادة الشاملة، ولا تلتفت إلى ما يكيده خصومك لك من أذى حسي ومعنوي، ولا تقلق بسبب ذلك، فعاقبتهم خسار وبوار ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [2].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١)مفاتيح الغيب (٣٢/ ١٢٥).

(٢) من كلام أ.د. ناصر العمر ينظر: ليدبروا آياته المجموعة السادسة (ص ١١٥).